

جمالية النص الشعري (في ليالي الخريف الحزين) لبدر شاكر السياب
The Aesthetic of the Poetic Text in (the sad autumn nights), by Badr

Shaker Al-Sayyab

د. سهام داودي

Siham Daoudi

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف (الجزائر)

Université Chadli Bendjedid El Tarf (Algeria)

daoudisiham36@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/02	تاريخ القبول: 2022/11/14	تاريخ الإرسال: 2022/08/02
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

نروم من خلال هذه الدراسة ملامسة النص الأدبي الشعري باعتباره رسالة ترميزية تتداخل فيه صناعته عوامل عدة، وأيضا ذا قيمة جمالية تتأني في جملة الإيحاءات والتأويل والانزياح التي تتعدى حدوده ولهذا ارتأينا أن نوظف المنهج الجمالي في قراءة سطور الأبيات الشعرية في قصيدة "في ليالي الخريف الحزين" لبدر شاكر السياب. فالمنهج الجمالي كسب مكانة بين المناهج النقدية الحديثة؛ وذلك لأهميته في البحث عن العلل والأسباب وكشف عن الجمالية البنائية للنص، كما أنه يقف عند عتبة الإبداع الأدبي، كما يعطي فرصة للقارئ (المتلقي) أثناء عملية القراءة في محاوره النص والوصول إلى أغواره، حيث يصبح القارئ مبدعا آخر بطريقة غير مباشرة. **الكلمات المفتاحية:** جمالية؛ نص شعري؛ أسطورة؛ قصيدة عربية.

Abstract:

In this study, we attempt to shed light on the poetic literary text as a symbolic message in which several factors are considered. In addition, it was of an aesthetic value that comes from a set of suggestions, interpretations and metaphors. Therefore, we decided to employ the aesthetic approach in the analysis of the poetic verses in the poem "In the Sad Autumn Nights" by Badr Shaker Al-Sayyab.

The aesthetic approach has gained its place among modern critical approaches due to its importance in searching for reasons and arguments and revealing the structural aesthetic of the text. It also stands at the threshold of literary creativity, and gives an opportunity to the reader (receiver) during the reading process to discuss the text and access to its deep structure, where the reader becomes another creator.

Keywords: aesthetic, poetic text, legend, Arabic poem.

* د. سهام داودي: daoudisiham36@gmail.com



مقدمة:

يحتوي الأدب على ألوان متعددة من الفنون القولية الهادفة والمعبرة في قوالب متنوعة، سواء كان نثرا أو شعرا، فهو الوعاء الحامل وأحد المصادر المختلفة للتاريخ الإنساني عبر العصور، وإلى يومنا هذا، ولذلك جاء الاهتمام بالظاهرة الأدبية، والبحث في إيجاد طرق ومعطيات منهجية لمعالجتها وتفكيك شفراتها واحتواء مضامينها وفي ذات السياق برزت لها مناهج متعددة في محاور الخطاب والنصوص، مناهج سياقية التي عالجت السياقات المختلفة والحالات التي تحيط بالنص من: سياقات اجتماعية، نفسية... الخ وتوازيم المناهج النقدية الحديثة بما تحمله من قراءات متنوعة، تعيش في داخل النص، وتخرج مكوناته.

أخذت المناهج النقدية الحديثة في الدراسات الأدبية حظا وافرا، واتسعت مجالاتها وأرغمت الباحثين باتخاذها كوسائل لإحياء النص وتنشيطه، وبعثه من سباته، والكشف أيضا عن أنساقه الجمالية. نعلم في دراستنا هذه على المنهج الجمالي في قراءة سطور هذه الأبيات الشعرية لشاعرنا "بدر الشاكر السياب" لمعالجة الإشكالية التالية:

كيف تظهر مواضع الجمال والإبداع في الكتابة الشعرية عند شاكر السياب من خلال قصيدته "في ليالي الخريف الحزين"؟

وقبل الولوج في معطيات الدراسة نحدد أولا بعض المفاهيم والمصطلحات: المنهج، المنهج الجمالي، النص الشعري

1- مفهوم المنهج:

ورد في لسان العرب أن المنهج "هو الطريق الواضح ونهج المرء منهاجا أي أنه سلك طريقا واضحا".¹ وأيضا ورد بمعنى "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة".² فالمنهج الشائع لمصطلح المنهج يقتصر على مفهوم الطريق الواضح التي يسلكها الباحث أو الدارس في الوصول إلى حقائق معينة، وجملة الأساليب المتبعة في تقصي الدراسة المنشودة.

2- المنهج الجمالي:

يعتبر المنهج الجمالي من المناهج النقدية الحديثة التي تهتم بالبحث في العلل والأسباب وتسعى للمبررات التي تزج الغطاء والسدل عن الجمالية البنائية للنص، كما يقف عند عتبة الإبداع الأدبي. فهو منهج قائم على دعامين أساسيين هما: "الذاتية والموضوعية، أما الذاتية فيقصد بها المنحى الجمالي المتولد عن عملية القراءة المتأنية في حين تمثل الموضوعية تلك القواعد والأصول المستقلة عن ذات القارئ".³

ويتحقق ذلك بالوصول إلى أغوار النص ومحاورته محاورة دقيقة، تتفاعل فيها الذات القارئة مع حيثياته، فالوصول إلى كل "جزء من أجزائه يتم بالمتعة والاكتشاف والارتياح أو القلق... وغيرها من المشاعر الإنسانية المترتبة على تطبيق مبدأ الحوارية بين النص من جهة والقارئ والمبدع من جهة أخرى".⁴

إذ يشكل النص محورا أساسيا في البحث النقدي وقد تعددت الآراء في تحديد ماهيته وإعطاء تعريف محدد له، فالنص الأدبي "هو نسيج من الألفاظ والعبارات التي تطرد في بناء منظم متناسق يعالج موضوعا أو موضوعات في أداء يتميز على أنماط الكلام اليومي والكتابة غير الأدبية بالجمالية التي تعتمد على التخيل والإيقاع والتصوير والإيحاء والرمز ويحتل فيها الدال بتعبير سوسير مرتبة أعلى من المدلول مقارنة بالنص الغير الأدبي".⁵ فالنص تحكمه قواعد ومعايير لغوية ويكون مشحونا بقيم حضارية وخصائص اجتماعية متفردة له خصوصياته وأبعاده الدلالية، ويساهم المتلقي في فك شفراته وإزاحة النقاب عن جماليته، فكل قراءة هي في حد ذاتها إبداع، يقول عبد الله الغذامي - في هذا الصدد- "الأدب عملية إبداع جمالي من منشئه وهو عملية تدور من المتلقي".⁶ وهذا ما أشار إليه أيضا بارث في تحديده لمفهوم "نص اللذة هو الذي يبعث النشوة في نفس المتلقي ونص المتعة هو الذي يتعب المتلقي ويضعه في حالة ضياع ويزعزع ثبات أذواقه".⁷

أعطى المنهج الجمالي للقارئ دورا فعالا، حيث جعل منه مبدعا آخر بطريقة غير مباشرة وتسنى له ذلك في إخراج النص من دائرة الاتكاء على القيم إلى بناء رؤى جديدة تنبثق من الذات القارئة المتمعنة للنص، والتي تغوص في أعماقه باحثة عن مكوناته، حيث تبدأ مغامرة النص الأساسية "مع أفق التلقي المختلفة لاختلاف الرؤى والأذواق وتتحقق فعالية هذا التلقي من خلال العلاقة الجدلية بين النص ومبدعه... ولا يحقق مفهوم النص إلا من خلال القارئ الذي يعيد تشكيله من جديد وهو على وعي بأنه واقع خيالي جمالي".⁸

فالمنهج الجمالي وسع مجال البحث والتحليل ومعالجة النصوص برؤيته الجديدة، التي تقف عند الظواهر الجمالية وتعين بدقة مواطن التفرد والتميز للأنساق.

3-جمالية قصيدة "في ليالي الخريف الحزين"

تم اختيار قصيدة: "في ليالي الخريف الحزين" للشاعر "بدر شاكر السياب" التي تشع بالحنين والأين والألم وتفيض بصدق المشاعر وحرارتها، فقد كان رصيده كبيرا وحافلا في مجال الشعري العربي الحديث فجدير بالذكر أن "بدر شاكر السياب" ارتبط اسمه بقصيدته المشهورة أنشودة مطر، وأطلق على ديوانه الشعري عنوانها "لكونها تمثل أنشودة تنامي وتتألف لتشكّل في النهاية موقفا رائيا يمثل رؤية أو حلما، منى الشاعر النفس ببلوغه في ضوء معطيات خاصة عاشها من خلال توزع أحلامه ورؤاه وأمنيته بين أرض المنفى وبين وطنه الأم الذي ظلّ طوال حياته مؤمنا بأن المطر التحويلي الرمزي سيعم أرض العراق وسيغير - لا محالة بناءه الفوقية والتحتية معا".⁹ وكان مطلعها كالاتي:

عينك غابتنا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح ينأى عنها القمر

عينك حين تبسان تورق الكروم
وترقص الأضواء كالأمطار في نهر
يرجحه المجداف وهنا ساعة السحر
كأنما تنبض في غوريتها النجوم¹⁰

حيث تأثر أيما تأثراً بأوضاع وطنه -العراق- خاصة والعالم العربي ككل وتركت بصمتها الفاعلة في سريرة شاعرنا نظراً لتعلقه الشديد وإحساسه بالعروبة وروح المسؤولية تجاه وطنه والقضايا العربية أُنذاك. نلمس مشاعره الصادقة في محاوراة الأحداث المتنامية التي اعترت الوطن "فهو من الشعراء الذين اهتموا بالمذهب الرومانسي، وتأثر به ثم خلق بعد ذلك نوعاً من الرومانسية التي امتزجت بوضعه النفسي وحياته الاجتماعية وأوضاع وطنه الفارق في الصراع، ولذلك تراه يختار عناصر الحزن والألم من بين عناصر الشعر الرومانسي كلها لتعبر عما يشوب الحياة من قضايا ومشكلات"¹¹ واقعية، فهو ينقل لنا الواقع بحيثياته الدقيقة وتفصيله المتشعبة، ويرى نفسه جزءاً لا يتجزأ من الواقع يتحدث بلسان الجماعة عما يجوب في خاطره من حسرة وتأسف على حال البلاد.

يستعين الشاعر في قصائده بالرمز إذ "أصبح الرمز عنصراً خادماً لشعر الواقعي، حيث كان ينتهي رمزا من الرموز المستمدة من التاريخ والأساطير والحكم والدين ثم يفرغه من محتواه، ويشحنه محتوى جديد له صلة بقضايا الواقع والمجتمع."¹² فالشعراء "هم عينة من أفراد المجتمع وربما هم أسبق من غيرهم في التنبؤ بما قد يحدث وما قد يطرأ من تطورات في الرؤى والمفاهيم، بحكم حاستهم الشعرية وبعد نظرتهم وعمق رؤاهم وبحكم طريقتهم الخاصة في التعامل مع الأشياء من حولهم."¹³

سنحاول أن نقف على أهم المظاهر الجمالية التي ميزت قصيدة في "ليالي الخريف الحزين":

قال "بدر شاكر السياب" في مطلع قصيدته، حيث تنتمي القصيدة لشعر التفعيلة -شعر الحر:

في ليالي الخريف الحزين

حين يطفى علي الحنين

كالضباب الثقيل

في زوايا الطريق

في زوايا الطريق الطويل

حين أخلو وهذا السكون العميق¹⁴

في مطلع القصيدة، يضع الشاعر القارئ ويوح له عن وضعيته النفسية الكئيبة التي يعتريها الألم والحزن، رابطاً إياها بليالي الخريف.

فكما تعلم أن للخريف وجها مكفهر، تسقط فيه الأوراق وتحوم الغيوم مشكلة غمام أسود، وما يغلب عنه المناظر الكئيبة التي تسقط منها الأوراق الزاهية، والساء الباهية الصافية وترانيم العصفير وغيرها ما يبعث في النفس الراحة والأمل والطمأنينة والسكينة.

أيضا نلمس أن الذات الشاعرة تستحضر الطبيعة والتأمل فيها وربط هذه الأخيرة بحالته النفسية، فكما نعلم أن "بدر" يعتقد المذهب الرومانسي وذلك ما يتم عن "تجارب الحب الكثيرة التي عاشها بدر"¹⁵، ونجد ذلك جليا في قصائده المحملة بتجاربه وعلاقاته المختلفة، وأيضا تعلقه الشديد بوطنه -العراق- وهذا ما أسفر عنه تناغم وانسجام بين مشاعره والطبيعة.

يتم مطلع القصيدة أيضا عن الصراع النفسي الذي يعتريه، وهذا ما خلق حوارا داخليا حيث يقول:

حين أخلو وهذا السكون العميق

توقد الذكريات

بابتساماتك الشاحبات

كل أضواء ذاك الطريق البعيد

حيث كان اللقاء

في سكون المساء

هل يعود الهوى من جديد؟

ترسم لنا هذه الأبيات ملامح حب جارف ارتبطت به الذات الشاعرة، فهي تعيش اضطرابا، حيث يحاول استحضار ذكرياته الجميلة "توقد الذكريات" مع خلوته والسكون العميق، في عشق الليل (الظلام)، فهو يوقد أيامه الجميلة والحوالي السعيدة التي كان يقضيها مع حبيبته، استعمل تاء التأنيث "بابتسامتك" وتاء المخاطب المؤنث، والأصوات المهموسة في الأبيات الأولى كالسين، الهاء، التاء، الميم في الكلمات التالية:

السكون، المساء، انهوى...الح، كما يبدي في آخر هذا المقطع حبه الشديد وتعلقه بهذه الحبيبة، ويصرح بتعلقه المتين في قوله: "هل يعود الهوى من جديد؟"، فالشاعر يحن لهذه العلاقة، ويعاني ألم الفراق والبعد فهو يتساءل في قرارة نفسه، هل تعود هذه العلاقة ووشائج القربى بينه وبين هذه الحبيبة؟

يواصل سرد معاناته ولوعته وشوقه في قوله:

عاهديني ذا عاد... يا للعذاب

عاهديني ومرت بقايا رياح

بالوريقات في حيرة واكتئاب

ثم تهوى حيال السراج الحزين

اتهمينا..... أما تذكرين؟

اتهمينا..... وجاء الصباح

ينتقل مرة أخرى ويمزج مشاعره الجياشة، بمظاهر الطبيعة ويكسيها حلة الحزن والكآبة في بعض ألفاظه مثل: بقايا رياح، الوريقات في حيرة واكتئاب...، يستمر الشاعر في رسم صورة اللقاء ونهايته الحزينة

التي كللت بالفراق وأنين العذاب والألم، فالقصيدة تحمل في طياتها جملة الخصائص البنائية والدلالية والأنساق الجمالية، حيث نجد الشاعر، يلعب دور "الراوي الواصف الذي يؤنث في أول لقاء له بالمتلقي، العالم المتخيل مجيباً عن الأسئلة التي تدور في ذهن المتلقي العارف بطرائق بناء العوالم التخيلية".¹⁶

فالشاعر يحاول أن يضع الذات القارئة في صلب موضوع الحدث، وتتنامي وتتسارع مجريات اللقاء حتى يصل إلى نهاية المطاف إلى سبب الفراق وشخصية الحبيبة التي صرح بها لاحقاً "شهرزاد"، فالأبيات الأولى لا بد أن تنطوي على دلالات وإيحاءات جزئية، وتكون مبعثرة متناثرة تشابه وتوازي الحالة النفسية المضطربة للشاعر، وعلى المبدع أن تكون له براعة وخبرة جادة في تنسيق هذه الأجزاء وربطها ربطاً محكماً، وهنا يتجلى التشكيل الشعري في كيفية ربط الأحداث وإسقاطها مع معطيات الراهن، نلمسها بانسيابية عند القراءة وتكون سلسلة مرنة بناءً للموضوع العام للقصيدة:

يسكب النور فوق ارتحاء الشفاه

وإنحلال العناق الطويل

أيمن آلام يوم الرحيل؟

أين لا لست أنساك وحسرتاه؟¹⁷

يواصل الشاعر رثاء نفسه في فقدته لحبه، ويتحسر على بعده عن حبيبته، ويؤكد في قرارة نفسه صعوبة نسيان هذه الحبيبة التي تعلق بها تعلقاً شديداً، فهي في الحقيقة وطنه، ويتحسر على واقعه، وأوضاعه الاجتماعية، السياسية... الخ، "فبدر لا يرى نفسه إلا جزءاً من الواقع وقطعة منها يرى أكبر من هذا، هذا الجزء من الواقع يمكن أن يغير هذا الواقع ويحول أوضاعه نحو الأحسن، فإننا نلمس في كل قصيدة من قصائده كون مصير الإنسان ليس مصيراً فردياً، بل مصير جماعي وإنساني ومتألماً تكون في كل مجتمع طلاقات قهر ودمار، كما هناك قوى بناء وطموح وعمل".¹⁸

وهذا ما بنى عليه مواضيع قصائده تتعلق وتيرة تنامي الأحداث دائماً بعناصر الحزن والألم فهي جزء لا يتجزأ من عناصر الرومانسية، "فرومانسية بدر لم تنعم بالفسحة الواسعة ليكون له شرفات أخرى على عالم الجمال وآفاقه، لكن هذا لم يمنع تميز بدر في رومانسيته التي طوعها حسب حاجاته وظروفه وخاصة وأنه عانى معاناة كبيرة من الغربة الداخلية"¹⁹، والوحشة المظلمة أحياناً والتهيان والتأمل في الواقع المأمول والمرجو.

يواصل الشاعر قوله:

فسي ليالي الخريف

حين أصغي ولا شيء غير الحفيف

ناحلاً كاتحباب السجين

خاف أن يوقظ النائمين

فاتتهى في الظلام

يرقب الأنم التائيات

ما زال الشاعر يرثي نفسه، ويبث أشواقه وحنينه للحبيبة، وينتخب نخب السجين، المتألم بلوعة الفراق، وتحوم حوله الذكريات التي يرتقبها ويخيم ظلام الفراق. فالملاحظ دائما توظيفه للألفاظ الدالة على الحزن كالاتحاب، الخوف، الظلام، الموت... وغيرها مغلقة دائما حزنه بالطبيعة، حيث تسقط كل الآلام والحسرات على قصائده، وكأنه يحملها عناءه الذي أثقل كاهله، راسما صورا شعرية تجسد اللامحسوس، محاولا في الوقت ذاته إيصالها للذات وتشخيصها على أرض الوجود، فهو يستدعي التشبيه في كثير من المواضع في قوله: "ناحلا كانتحاب السجين" "...والمتأمل جيدا في أغوار هذه القصيدة، نجد في حقيقته يبكي على الأوضاع التي آلت إليه بلاده (العراق)، والعالم العربي ككل، فكل هذا "رسم ذات الشاعر... وذلك لاتصاله بقضايا الوطن والعروبة وإحساسه بالمسؤولية تجاه خط سير الأدب وتطوره"²⁰ وبصمته الشعرية التي نلمسها في كتاباته.

من خلال هذه القصيدة يصف واقعه المرير، فبدر لا يرى نفسه إلا جزءا من الواقع، فالمصير في حقيقته، مصير مشترك وليس فرديا بل هو جماعي، يربط آمال الشعوب ووحدها وطموحاتها. يستمر الشاعر في البوح بمشاعره الجياشة، محاولا إبراز طول معاناته وأناته للوعة الفراق قائلا:

حجبتها بقايا غمام
فاستبدت به الذكريات
الغناء البعيد البعيد
في ليالي الحصاد
أوجه النسوة الجائعات
ثم يعلو رنين الحديد
يصلب البائس الرقاد!

نلاحظ من خلال هذه الأبيات نظرة الحزن وصوت الألم وبوح الأنين، فقلب الشاعر منفطر يتألم في صمت يستحضر الذكريات والصور، يضع القارئ في المشهد الدراسي ويحاول أن ينقل الحثيات والتفاصيل التي يغيم عليه الحزن والتشاؤم، فجّل الألفاظ دالة على ذلك: استبدت، أوجه النسوة الجائعات، رنين الحديد، السلب البائس... الخ، كلها تطبع نفسية الشاعر المتشائمة، لجأ أيضا إلى التوكيد اللفظي في قوله: البعيد، البعيد، يؤكد على طول القهر والبعد والفراق، ويؤكد أيضا على معاناته وحسرتة على بلده والأوضاع التي حلت بها من فقر وجوع وبؤس وجهل، فهو يحاول جاهدا أن يحمل القارئ إلى عالمه وأن يتفاعل مع مأساته، وذلك بخلق رابط تواصلية تأثيري في إطار أنساق لغوية، وظف أيضا تعابير مجازية في قوله: حجبتها بقايا غمام... فهل للغمام بقايا؟، وأيضا في قوله: يعلو رنين الحديد ويواصل قائلا:

في ليالي الخريف
حين أصغني وقد مات حتى الحفيف
تعزف الأمسيات البعاد

في أكتئاب يثير البكاء

شهرزاد

في خيالي فيطعني على الحين

أين كنا؟ أما تذكرين

أين كنا؟ أما تذكرين المساء؟!

يصرح في هذا المقطع اسم الحبيبة "شهرزاد"، ودلالة هذا الاسم الذي يعود بنا إلى شهرزاد والملك شهريار، وحكايات "ألف ليلة وليلة" فدلالته دلالة أسطورية، فشهرزاد رمز في حقيقته دال على الوطن فطالما اتصلت أشعار شاعرنا بالمذهب الرمزي، وكان ينتقي رمزا من الرموز المستمدة من التاريخ والأساطير والحكم والدين ثم يفرغه من محتواه ويشحنه محتوى جديد له صلة بقضايا الواقع والمجتمع، ولم يكتف "بدر" بالرمز كعنصر رصد الواقع والمجتمع فحسب، بل راح يحلل هذه الوقائع ويؤكد على ضرورة التغير وحل المشكلات فخرج الرمز من المدلول الجمالي إلى المدلول الإشكالي²¹، وهذا ما نستشفه في هذه الأبيات، فالعديد من القضايا الوطنية (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية... الخ) احتضنتها الأدب بشقيه (شعرا ونثرا) وكان الكتاب والشعراء على حد سواء يغلقونها برموز وشفرات في نصوصهم وخطاباتهم التي قيدت بسلاسل آنذاك، وطوق عليها بإحكام وترض على البعض منها قوانين وقواعد لا تسمح بمثل هذه الممارسات والبوح بالحقائق الاجتماعية السياسية، ولهذا لجأ معظمهم بتوظيف الرمز في كتاباتهم فدلالته وقيمته يأخذها من السياق والتجربة الشعرية وتجسيد الجماليات التشكيل الشعري ما لم يصل إلى درجة الإيهام والغموض، إن توظيف الرمز في القصيدة الشعرية الحديثة سمة مشتركة بين غالبية الشعراء على مستويات متفاوتة من حيث الرمز البسيط إلى الرمز العميق وإذا وظف الرمز بشكل جالي منسجم واتساق فكري فإنه يسهم في الارتقاء بشعرية القصيدة وعمق دلالتها وشدّة تأثيرها في المتلقي.

القصيدة "إبهال طقوسي" قصد ارتواء الأرض العطشى على المستوى الأفقي ولكنها - في الوقت ذاته - اتجاه شاقولي لتغيير ما هو ساكن ورتيب من حيث عمق الرؤية التي تحمل إبهات تلك القصيدة ودلالاتها.²² فشاعرنا عمد لتوظيف مجموعة من الآليات التي تناسب موضوع الراهن - أوضاع العراق - مستندا على مرجعيته وثقافته وأيديولوجيته في تناول المواضيع وتحليلها رافضا رفضا مطلقا القهر والتسلط والجبروت والعنف والاضطهاد بكل أنواعه وكل الأوضاع المزرية آنذاك، فهو "يوظف في مختلف قصائده أبعادا ورموزا أسطورية لم تعرب عن وجودها كأساطير قائمة بذاتها في زمان ومكان معينين بقدر ما أصبحت تلك الأبعاد والرموز جزءا لا يتجزأ من هيكل القصيدة العام... ما يجعلنا نذهب إلى حد القول أن الشيبان قد وظف الأسطورة توظيفا يتم عن فهم عميق لدلالات تلك الأسطورة بحيث يتوسل بها للتعبير عن الواقع الراهن الذي يعيشه الشاعر"²³، وهذا يدل على بصمته الخاصة في الشعر العربي المعاصر.

وظف الشعراء الرمز الأسطوري والتراثي والصوفي فأضفت صورا فنية دالة أغنت نصوصهم الشعرية وعمقتها فكريا وجماليا. يواصل الشاعر في سرد مأساته قائلا:

ففي ليالي الخريف الطوال
 آه لو تعلمين
 كيف يطغى علي الآسى والملال؟!
 في ضلوعي ظلام القبور السجين
 في ضلوعي يصيح الوردى
 بالتراب الذي كان أمي غدا
 سوف يأتي فلا تقتلني بالنحيب
 عالم الموت حيث السكون الرهيب!

يرحل بنا الشاعر إلى عالم البرزخ في الأبيات السابقة الذكر، أجواءه، الآسى، القبور، الموت، السكون، الرهيب، النحيب... الخ، فكأنه يخبرنا أنه في عداد الموتي جراء حزنه الشديد، يوازن بين فلسفة الموت والحياة، وحقيقة الموت الحقبة التي لا مفر منها، نهاية كل حياة، نهاية كل جميل، مأوى لكل ذكرى... الخ. تظهر جليا معاناته وحزنه الشديد حيث امتزجت بلاغية في ضلوعي ظلام القبور المتين.... يحاول بقدر المستطاع أن يضع القارئ في دائرة حزنه، ويبرز المعنى الحقيقي له، مستعينا بالاستفهام تارة وبالتعجب تارة أخرى في قوله: " كيف يطعن على الآسى والملال؟!

فهو يسأل الحبيبة آه لو تعلمين مدى حزني ويجب بعدها بآيات تصور حالته الكئيبة وإلى طريق الموت الذي يعتبر المحطة الأخيرة التي يمر بها الفرد، فالشاعر فقد الأمل من أن يحيا من جديد، أن يحيا بالتفاؤل والأمل والحب، ولهذا نجده يشيد لقبه قبل الأوان، وأصبح الموت صاحبة الوحيد لينسيه عذابه، فهي محاولة منه للهروب من الواقع، والتغلب على حنينه واشتياقه الذي يكاد يخنقه.

تمثل قصائد " بدر شاكر السياب " بوابة الولوج إلى عالم التجديد في الشعر العربي الحديث والمعاصر، فهو أحد أبرز رواد القصيدة الشعرية العربية المؤسسين للشعر الحر، فلقد خرج عن المألوف وفجر اللغة وجعلها تفيض بمجاليات وفنيات عالية، وانتقائه للألفاظ الهادفة المناسبة لموضوعاته المتعددة، وبخاصة موضوع الغربة والحنين إلى وطنه، فكانت تجربته رائدة وترك بصمة واضحة في مجال الأدب (الشعر الحديث) وفي أشعاره التي صورت حياته الشاقة والمشخنة بالآلام والأحزان والتي تناشد الحب والأمل وروح التجديد، كل هذا أعطى لشاعرنا مكانة مرموقة في فتح هذا المجال وإن كان هناك تضارب حول أسبقية بادرة الشعر الحر فهي قضية لا يذكرها النقاد إلا وبينوا وجه الاختلاف بين بدر ونازك الملائكة، لكن الحقيقة أهم بكثير من هذا، وهي أن لكل من الطرفين دوره في إثراء الرصيد الشعري العربي فقصيدة بدر هل كان حبا إحدى روائع شعره بين فيها نوعا جديدا من الكتابة الشعرية، استعمل فيها بحر الرمل كاملا ومجزوءا، وعدد المقاطع وتوقع في الصور والقوافي حتى قيل إنه اختار لقصيدته تلك نظام اللانظام.²⁴

فرؤيته للأحداث وتصويرها لنا لها وقع في الذات القارئة ونظرتها الثابتة السابقة للأوضاع وما سنؤول

إليه.

كل هذا تأتي في كلمات منتقاة بدقة، لها صداها ومبتغاها حققت لحمة النص، صورها لنا بقوة مخيلته وأسلوبه الفذ، التي أسفرت جمالية نابعة من حاجة الشعرية العربية الحديثة المعاصرة.

مرحلة الاكتفاء إلى الذات

الحب والموت والزوال السريع

- توظيف متباين للدلالات لرموز التاريخ الأساطير المحلية والعالمية.
- يمثل هوية الشعر العراقي.
- كانت رادا للجمر المنبثق من داخله أو اللهب الذي يشدد...
- بحث دائم محقق عن الحب حدة في الانفعال.
- حضور ضخم لها حبس الموت.
- الجفاف العاطفي.
- المعادل الموضوعي اسقاط المشاعر النفسية الداخلية على الإنشاء الخارجية الموضوعية، وجعلها حاكية عن ذلك الشعور: معادلا موازيا للبناء والمعنى.

يواصل:

سوف أمضي كما جنت واحسرتاه
سوف أمضي ومازال تحت السماء
مشيدون يستزفون الدماء
سوف أمضي وتبقى عيون الطغاة
تستمد البريق
والنقاع الحراب
في الصحاري ومن أعيين الجائعين
سوف أمضي وتبقى في العذاب

دلالة هذه الأبيات صراحة على حال البلاد ووضعها المزري والمزدرى من طغيان واستبداد الحكام وقتل الأبرياء وتفشي الجوع والجهل والفقر وغيرها.
نلاحظ توظيف مكثف لعبارة سوف أمضي التي تدل على المستقبل البعيد، وتدعو للتغيير والطموح المستقبلي المكلل بالأمل وتجاوزه للماضي المرير والدعوة إلى طي صفحاته الملتحمة بالدماء والآلام والعبرات، وتاركاً خلفه عيون الطغاة وقناع الحرب اختزل هذا كله في عبارة سوف أمضي.

وأخيراً: نجد بادرة أمل وتفاؤل سنها شاعرنا في الأبيات الأخيرة من القصيدة، يقول:
 سوف تحمين بعدي وتستمعين بالهوى من جديد
 سوف أنسى وتنسين إلا صدى من نشيد
 ففي شفاه الضحايا وإلا الردى
 يقر أن النسيان هو المرهم والترياق لهذه المأساة، وسوف تنبعث الحياة من جديد وكأنه يدع للحياة
 جديدة ملؤها التفاؤل والأمل.

نلاحظ أيضاً في القصيدة كثرة حروف المد: الألف والواو والياء، وقد عمد الشاعر إلى توظيفها في
 المضمون الشعري، وذلك لطول الصوت ومناسبتها للتأوه والحزن والأسى، وتبيان آلمه الملازم المطلق وحالته
 النفسية الكئيبة.

في ضوء ما سبق تحليله نستطيع القول: إن "القصيدة العربية المعاصرة تحمل في طياتها هموم الماضي
 والحاضر والمستقبل معاً؛ لأن الشاعر العربي المعاصر أياً كانت أيديولوجيته ومرجعياته الفكرية أو الثقافية ما
 زال مشدوداً إلى انتباهه الحضاري والروحي، حتى وإن حاول التنصل من ذلك الالتئام وذلك الماضي، لأن
 الآخر لا ينظر إلى الإنسان العربي إلا في ظل توقعه التاريخي وتجذره الحضاري والعربي معاً".²⁵
 فهو يعيش في بوتقة الحاضر وماله صلة بماض يحمل الخيبات والذكريات...مستقبل يحمل الآمال
 ومشارف النجاة والطوق إلى سبل الهناء والعيش الرغيد.

فجادة الصواب هي الإقرار "بحقيقة المعاناة التي يجيها الشاعر العربي المعاصر - ولاسيما شاعرنا بدر
 شاكر السياب- ويجسدها في شعره، وهذا ما أدى إلى تعدد الموضوعات والآليات في الطرح، فضلاً عن طبيعة
 القاموس الشعري الذي ازداد غنى وثراء والصورة الشعرية التي تعمقت في أبعادها وتنوعت في خصائصها
 ووظائفها وتألفت في جمالياتها وتفردت بروقها وإجاءاتها"²⁶، واستحضار عالم الأساطير وهذا ما أكسبت النص
 خصوصية متفردة.

خاتمة

تشكل هذه الدراسة غوصاً في جماليات النص "في ليالي الخريف الحزين" من خلال تطبيق المنهج
 الجمالي الذي يفتح المجال للقارئ يجعله شريكاً فعالاً في محاوره مغاليق النص، وبحته عن المدلولات الجديدة
 انطلاقاً من مركزاته الفكرية، وما مدى فهمه لنمط الحياة بأدوارها المختلفة، فكان المنهج الأنسب لقراءة النص
 الشعري التي أضفى عليها بعداً جمالياً، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن المنهج الجمالي هو المنهج الذي يبحث في العلائق بين العمل الفني ومتنوعيه، كما يعدّ جزءاً لا
 يتجزأ من نظرية علم الجمال (الإستيطيقا) الذي هو أحد أقسام الفلسفة.

- يتأرجح مصطلح المنهج الجمالي بين النظرية والتطبيق، وتختلف مباحثه في النقد والأدب، فيوسم في
 الأدب بجمالية وشعرية وبلاغة التعبير، وتفرد الكتابة واختلافاتها من أديب إلى أديب، أما في النقد الفني

فيشترط المعرفة والشمولية والتوسع في فهم معايير الجمال وممارستها، فقد تساير الكتابة الإبداعية نواحي عدة مستنطقة من روح العصر وصرامة الفلسفة والمنطق.

- لا تستقيم الجمالية في موضع واحد، فهي متشظية في الكتابة الإبداعية، وتلملم وتلامس اتجاهات عدة، اجتماعية، أخلاقية، نسقية، سياقية.

هوامش:

- ¹ ابن منظور: لسان العرب، دار الطباعة والنشر (بيروت)، 1955، ج 2، ص 383.
- ² أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات (الكويت)، ط5، 1979، ص 05.
- ³ الوجعي بن سلامة: الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفتيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري (قسنطينة)، ط2، 2005، ص 22.
- ⁴ شاعر عبد الحميد: التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق عالم المعرفة الفني، سلسلة كتب ثقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون (الكويت)، 1990، ص 35.
- ⁵ عبد الرحمان بن محمد القعود: في الإبداع والتلقي الشعر خاصة، عالم الفكر، الكويت، مجلد 25، عدد4، أبريل، يونيو 1997، ص174.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 174.
- ⁷ ينظر سعود محمود عبد الوهاب عبد الجابر: النص الأدبي والمتلقي، مؤسسة مختار مدينة نصر (القاهرة)، ط1، 1994، ص 247.
- ⁸ السيميائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة والأدب العربي، جامعة باجي مختار، عنابة، ماي 1995.
- ⁹ بوجمة بويديو: حضور الرؤيا واختفاء المتن حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، مطبعة المعارف (مصر)، ط1، 2006، ص27.
- ¹⁰ سارة حسين جابري: أعذب القصائد بدر شاكر السياب، إصدارات العوادي (المغرب)، 2015، ص11.
- ¹¹ ينظر المرجع نفسه، ص7.
- ¹² المرجع نفسه، ص 9.
- ¹³ بوجمة بويديو: حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، ص6.
- ¹⁴ سارة حسين جابري: أعذب قصائد بدر شاكر السياب، ص 94.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 05.
- ¹⁶ محمد نجيب العامي: في الوصف بين النظرية والنص السرد، دار محمد علي للنشر (تونس)، ط1، 2010، ص62.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 95.
- ¹⁸ سارة حسين جابري: أعذب قصائد بدر شاكر السياب، ص 08.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص 7، 8.
- ²⁰ المرجع نفسه، ص 6، 7.

²¹ المرجع نفسه، ص 09.

²² بوجمعة بوبعوي: حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، ص 78.

²³ المرجع نفسه، ص 78، 79 بتصرف.

²⁴ المرجع نفسه، ص 10.

²⁵ المرجع نفسه، ص 6.

²⁶ المرجع نفسه، ص 7.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار الطباعة والنشر (بيروت)، 1955.
2. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات (الكويت)، ط5، 1979.
3. بوجمعة بوبعوي: حضور الرؤيا واختفاء المتن حضور الرؤى واختفاء المتن دراسة في علاقة الأسطورة بالشعر العربي المعاصر، مطبعة المعارف (مصر)، ط1، 2006.
4. سارة حسين جابري: أعذب القصائد بدر شاكر السياب، إصدارات العوادي (المغرب)، 2015.
5. سعود محمود عبد الوهاب عبد الجابر: النص الأدبي والمتلقي، مؤسسة مختار مدينة نصر (القاهرة)، ط1، 1994.
6. شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي دراسة في سيكولوجية التذوق عالم المعرفة الفني، سلسلة كتب ثقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون (الكويت)، 1990.
7. محمد نجيب العرامي: في الوصف بين النظرية والنص السردي، دار محمد علي للنشر (تونس)، ط1، 2010.
8. الوجعي بن سلامة: الوجيز في مناهج البحث الأدبي وفنيات البحث العلمي، منشورات جامعة منتوري (قسنطينة)، ط2، 2005.

المقالات:

9. عبد الرحمان بن محمد التعود: في الإبداع والتلقي الشعر خاصة، عالم الفكر، الكويت، مجلد 25، عدد4، أبريل، يونيو 1997.

الملتقيات:

10. السببائية والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة والأدب العربي، جامعة باجي مختار، عنابة، ماي 1995.